

تمثيلات الهوية في رواية (الناجون) للزهرة رميج ؛ مقارنة ثقافية

Representations of Identity in the Novel: A Case Study of Al-Zahra Ramij's

The Survivors — A Cultural Approach

* حليمة محلق¹ / راشد شقوفي² / فريد عوف³

Halima MEHALLEG/ Rached CHEGOUFI /Farid AOUF

مخبر اللغة وتحليل الخطاب

جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل - (الجزائر)

University of Mohamed Seddik Ben Yahya-Jijel-Algeria

mehalleg.halima@univ-jjel.dz¹/rchedgoufi@univ-jjel.dz²/aouffarid@hotmail.fr³

تاريخ النشر: 2026/06/02

تاريخ القبول: 2026/04/23

تاريخ الإرسال: 2026/03/15

ملخص البحث

في عالم يزداد فيه التداخل بين الثقافات، وتتصارع فيه الانتماءات بين الأصل والغربة، تحضر الهوية في النص الروائي المغربي بوصفها مفهومًا إشكاليًا ومحوريًا يتطلب وقفة تأملية لفهم أبعادها وتجلياتها، ولذلك تهدف الدراسة الموسومة تمثيلات الهوية في رواية "الناجون" للزهرة رميج -مقارنة ثقافية- إلى مساءلة مفهوم الهوية والكشف عن كيفية تجلياته داخل الرواية الأنموذج، وكيفية تمثيلها لعلاقة الذات بالآخر الغربي في فضاء الهجرة والاعتراب.

ولكون الرواية عالمًا مفتوحًا على الثقافة الإنسانية وتعبيرًا أمينًا عن الهويات، وترجيًا صادقًا للأنساق الثقافية، قد تمت الاستعانة بالمقارنة الثقافية التي تلائم طبيعة الدراسة، والمشفوعة بإجراءات الوصف والتحليل. الكلمات المفتاحية: هوية، ذات، آخر، هجرة، اعتراب، رواية.

Abstract :

In an increasingly inter connected world where loyalties are contested between origin and exile, identity emerges in the Maghrebi novel as a problematic and central concept that requires reflective interrogation to apprehend its dimensions and manifestations. Accordingly, this study, entitled "Representations of Identity in the Novel: A Case Study of Al-Zahra Ramij's The Survivors — A Cultural Approach,"

* حليمة محلق mehalleg.halima@univ-jjel.dz

seeks to interrogate the notion of identity and to uncover the ways it is articulated with in the model novel, as well as how the novel represents the relationship of the self to the Western other within the space of migration and alienation.

Given that the novel is an open world of human culture, a faithful expression of identities, and an authentic translator of cultural systems, the research adopts a cultural approach suited to the study's nature, supported by descriptive and analytical procedures.

Keywords: identity; self; other; migration; alienation; novel



مقدمة.

شهدت الرواية المغربية تطورات في طرائق الكتابة وأساليب التعبير، جعلتها تحظى بمكانة متميزة في الدراسات الأدبية والنقدية، التي أسهمت في تطويرها، من خلال منجزات نقدية جادة، وقراءات عديدة ومتنوعة، كشفت عن سمات وخصائص فنية وجمالية وبلاغية، تمتلكها الرواية المغربية، أكسبتها قدرة على الاستمرارية واستيعاب كل ما هو طارئ ومستجد، والتفاعل مع مختلف القضايا والإشكاليات والمفاهيم المثيرة والشائكة، كمفهوم الهوية، الذي يعدّ من بين أكثر المفاهيم طرحاً وحضوراً في المتن السرد.

فمفهوم الهوية يشكل أحد أبرز القضايا التي يواجهها الإنسان المعاصر، خاصة في سياق الهجرة والانفتاح على ثقافات مختلفة، حيث يصبح الصراع الداخلي بين الانتماء الأصلي والرغبة في الاندماج أداة لفهم الذات وبناءها، وليست الرواية المعاصرة سوى مرآة حيّة لهذا التمزق الداخلي الذي يعانيه الإنسان، إذ تجسّد الشخصية الروائية انشطارات الذات وتمزقها الهوياتي، نتيجة صراعاتها واحتكاكها بالآخر، كما تمثل رواية "الناجون" للروائية المغربية "الزهرة رميج"، التي انتخبت كعينة للدراسة والتحليل.

استناداً إلى هذا الطرح، تتحدد إشكالية الدراسة في التساؤل التالي: كيف تشكلت الهوية وعلاقة الذات بالآخر في فضاء الاغتراب في نص الناجون؟ وللإجابة عن الإشكالية المطروحة، فقد انتظمت الدراسة في خمسة محاور وهي:

-الهوية والسرد.

-الهجرة نحو الآخر/انشطارات الذات وتمزق الهوية.

-اللغة فضاء هوياتي.

-تجليات سؤال الاعتراف بالآخر في الرواية.

- من الهجرة إلى العودة للوطن/التسامح مع الهوية.

تهدف الدراسة عبر محاورها، إلى الكشف عن كيفية تجليات الهوية داخل الرواية النموذج، ولكون الرواية عالمًا مفتوحًا على الثقافة الإنسانية وتعبيرًا أمينًا عن الهويات، وترجيحًا صادقًا للأنساق الثقافية، قد تمت الاستعانة بالمقاربة الثقافية التي تلائم طبيعة الدراسة، والمشفوعة بإجراءات الوصف والتحليل.

ولا تدعي الدراسة فضل السبق في مقارنة رواية "الناجون" للروائية المغربية "الزهرة رميج"، فقد سبقها دراسات أخرى، تناولتها من زوايا مغايرة، تختلف عن دراستنا المتمحورة حول قضية الهوية بوصفها مفهومًا إشكاليًا ومحوريًا يتطلب وقفة تأملية لفهم أبعادها وتطهراتها، ومن تلك الدراسات نذكر على سبيل المثال لا الحصر، دراسة: الباحثة "أقطي نوال" بعنوان "الصحراء وحركة الارتداد في الرواية النسوية قراءة في رواية "الناجون" للزهرة رميج"، المنشورة في مجلة الخطاب، المجلد 15، العدد 01، جانفي 2020، وتتمحور حول تيمة الصحراء.

- "نوال أقطي" و"فوزية دندوقة": "فلسفة الفن عند الزهرة رميج، رواية الناجون أنموذجًا"، مجلة النص، المجلد 08، العدد، 03، 2021، وقد اهتمت الدراسة بالبحث في فلسفة الفن عند الروائية، متكئة على المنهج النفسي والاستقرائي.

- "أقطي نوال وسعاد طويل": "الأنساق الفلسفية المضمرة في رواية الناجون للزهرة رميج مقارنة ثقافية"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 15، العدد 03، ديسمبر 2022، والقاسم المشترك بين الدراسة الحالية وهذه الدراسة هو المقاربة الثقافية، غير أنّ دراستها تختلف في طريقة معالجتها للرواية، فقد تم التركيز على فلسفات مختلفة تتحد في "فلسفة ماركس نسق التمرد ثم تقويض الاستلاب المادي، فلسفة فرويد نسق التعويض والإشباع ثم التسامي عن الاستلاب الروحي، فلسفة نيتشه نسق التعالي وموت الإنسان"، ودراستنا تبحث في كيفية تجليات الهوية داخل الرواية.

1- الهوية والسرد.

يشكل مفهوم الهوية أحد أبرز القضايا التي يواجهها الإنسان المعاصر، خاصة في سياق الهجرة والانفتاح على ثقافات مختلفة، حيث يصبح الصراع الداخلي بين الانتماء الأصلي والرغبة في الاندماج أداة لفهم الذات وبناءها، وليست الرواية المعاصرة سوى مرآة حيّة لهذا التمزّق الداخلي الذي يعانيه الإنسان، إذ تجسّد الشخصية الروائية انشطار الذات وتمزّقها الهوياتي، نتيجة صراعاتها واحتكاكها بالآخر، إذ «لا يمكن للهوية أن تتشكل إلا عن طريق علاقة الذات بالآخر، لأن تحديد الهوية ذاتها لا يتم إلا في ضوء تحديد تمايزاتها وخصوصياتها عن الآخرين والغيريات، ولا يمكن لعالم الذات التي تبحث عن هويتها، أو تشكل هويتها، أو يسعى السرد إلى تشكيلها أن يتحقق إلا عبر الآخرين» (مسعودي، 2021، صفحة 279) الذين يمثلون بدورهم عناصر فاعلة في بنائها، ف «السرد باعتباره علامة دينامية يتفصل وفق نظام ترميز مزدوج أدبي-ثقافي يعكس رهانات الإستراتيجية السردية، حيث تستحضر سياقات الهوية والمتخيل والتاريخ وتجاذبات المعرفة والقوة من أجل فرض تصور معين للعالم» (بوعزة، 2014، صفحة 37) ما

يجعله يتجاوز نقل الأحداث السردية، ليصبح آلية متكاملة تجمع بين البعدين الثقافي والأدبي، مستحضرة في ذلك عناصر الهوية والتاريخ والمعرفة والسلطة، لتشكيل رؤية معينة للعالم، وبالتالي فإن «من يملك سلطة السرد هو من يتحكم في تمثيل الآخر» (بوعزة، 2014، صفحة 38) إذ يمتلك به القدرة على تحديد الصورة التي سيعرض بها الآخر، وعلى التأثير في الفهم والتصورات الاجتماعية والثقافية.

2- الهجرة نحو الآخر / انشطار الذات وتمزق الهوية.

تشهد الذات/الأنا العربية في فضاء الهجرة والاعتراب، تحديات عديدة، تعترض سبيلها، إذ تتم مفاوضاتها على هويتها الأصلية، ففي نظر الآخر تشكل الذات/الأنا عنصرًا دخليًا يهدد كيان أمته وثقافته، وخوفًا من ذلك، يسعى إلى تجريدها من كل صفاتها، ومن تاريخها وعاداتها وتقاليدها ولغتها، نلمح ذلك جليًا في صدام الشخصية البطل، إذ اتخذت علاقته بالآخر الفرنسي، في بدايتها شكل الصراع، الذي تظهر في عدة مستويات، بدءًا بهوية الاسم الذي يعدّ من «أقوى مظهرات الهوية الكينونية والثقافية ويشكل الوجود المعنوي اللغوي للإنسان، وأهم استعاراته التي يحيا بها، ويموت أيضًا، بكل تداعياته الثقافية. فالاسم نسق ثقافي قائم بذاته، يحيل على مروياتنا الكبرى، ويرتبط بالتوجهات الثقافية، وعادة ما يعاني المهاجرون [...] من إشكالية الاسم ومدى ارتباطه بكل من الهوية الأصلية والمكان الجديد» (مسعودي، 2021، صفحة 291) وهذا الأمر قد أثارت الرواية "الزهرة رميج" داخل الرواية قيد الدراسة.

فبطل الرواية عربي الأصل اسمه "عبد العاطي"، كان طالبًا جامعيًا، ومناضلًا منخرطًا في الحركة الطلابية، وقد أجبره الواقع السياسي على مغادرة الوطن نحو فرنسا، فعاش هناك آلامًا كثيرة، بسبب فراقه للوطن وبعده عنه وعن الأحبة، والاعتراب، وأزمة هوياتية، ظهرت معالمها لحظة تقدمه لطلب الحصول على الجنسية الفرنسية، أين سألّه الموظف عن تغيير اسمه وهو ما يرد في هذا الحوار: «هل تريد تغيير اسمك هذا، أم الاحتفاظ به؟

ولماذا غيره؟

ألا ترغب في الحصول على الجنسية الفرنسية؟

طبعًا! ولهذا أنا هنا! (رميج، 2012، صفحة 32)

يُظهر هذا الحوار صراعًا هوياتيًا بين ثقافتين (غربية/عربية)، نرى فيه قسماً من التجربة المهاجرة التي تتضمن معاناة كبيرة، وضغوطًا نفسية وقلقًا مستمرًا بسبب المواجهة الواقعة مع الهوية المختلفة التي لا تقتصر فقط على الجنسية، ولكنها تمتد إلى الاسم والموروث الثقافي، فالسؤال الذي يطرحه الموظف "هل تريد تغيير اسمك؟" يعكس الضغط الثقافي المفروض على الأفراد المهاجرين في المجتمعات الغربية، ف«تغيير الاسم يكون في الغالب [...] مخنة واقعية بالنسبة للفرد الذي ثرى هويته متعددة وموضع شك في آن واحد» (أسعد، 2009، صفحة 86) ونموذج ذلك "عبد العاطي"، المهتد بفقدان هويته، بسبب ارتباط اسمه بثقافة أخرى غير الثقافة السائدة في البلد الذي قصده، فاسمه ينتمي إلى الثقافة العربية، ويتناقض مع الهوية الفرنسية، التي يطلب منه أن ينصهر معها، ذلك ما يجعل الموظف يلح قائلاً له: «إذا أردت أن تكون فرنسيًا، فالأجدر بك أن تكون فرنسيًا كليًا لا جزئيًا. [...] ألا ترى معي، أن اسم ألد لأطي

وكلمة فرنسي-ييدوان متناقضين تناقضا غريبا! شخصيا، لا أتصور فرنسيا باسم أبد لأطي! كم هو ثقيل على اللسان! [...] مع أنه في أرضه وعلى لسان أهله، له وقع السحرا» (رميج، 2012، صفحة 32) وبذلك يكون الموظف قد مارس عليه عنقا رمزيا، واستعلاء ثقافيا، فأن تكون "فرنسيا كليا لا جزئيا" دعوة ضمنية إلى تشطيب الهوية الأصلية للذات، ودلالة واضحة وصریحة على رفض مسألة الانتماء المزدوج.

إن اسم "عبد العاطي" الذي يحسب ثقيلًا في اللسان الفرنسي حسب ادعاءات الموظف، يحظى بالاعتراف والقبول في ثقافة الأرض الأصلية، التي يعدّ فيها اسمه ذو وقع السحر، ومع ذلك يستمر الموظف في ممارسة ضغطه على "عبد العاطي" مخاطبًا إياه «-مكن! ولكن، في أرضه وعلى لسان أهله كما تقول... لكنه الآن، يوجد في أرض أخرى، وبين أهل آخرين... فأنت بحكم حصولك على الجنسية، ستصبح واحدًا من الفرنسيين. لذا يجب أن يكون اسمك الشخصي، أكثر انسجامًا وتناغمًا مع لغتهم وعالمهم» (رميج، 2012، صفحة 32) فهذا المقطع السردى يميّط اللثام عن نظرة استعمارية جديدة ضمن الثقافة الغربية التي تعتقد أن المهاجر يجب عليه التخلي عن ثقافته وهويته الأصلية ليصبح جزءًا من العالم الفرنسي.

تعود فكرة حصول "عبد العاطي" على الجنسية الفرنسية نزولا عند رغبة فتاة فرنسية تدعى "كريستين" تعرّف عليها «عندما كان يعمل في جني البطيخ بإحدى الضيعات بمدينة مونبلييه، في بداية إقامته بفرنسا، كان عليه أن يظل منحنيًا وهو يضع كرات البطيخ في الصندوق. مر وقت طويل وهو على تلك الوضعية [...] فانتصب واقفا. ما إن هم بفرد ذراعيه [...] حتى سمع قيم الضيعة يصبح فيه: Hé!bounoule رنت تلك الشتيمة العنصرية رنينا غريبا في أذنيه» (رميج، 2012، صفحة 35) فبسبب هذا التعامل الفض، الذي يُظهر تمييزًا عنصريًا وعداء لكل ما هو عربي، شعر "عبد العاطي" بالاحتقار والدونية، وهذا ما جعله ينتفض ويتشاجر مع القيم، واثّر ذلك، أصيب بجرح في رأسه، فقام رفاقه بإبعاده عن المنطقة، وبطلب منهم، حملة أحد الأصدقاء المقربين من "كريستين"، إلى بيت والدها، فاعتنت به إلى أن توطدت العلاقة بينهما، فألحت عليه بطلبها ذاك، ليضمن حياته وكرامته.

غير أنّ هذا الطلب جعله يشهد توترًا وصراعًا نفسيًا حادًا، وجد فيه «نفسه بين نارين. نار تغيير الاسم، ونار الحفاظ على اسمه الحقيقي» (رميج، 2012، صفحة 33) وهذا الصراع الداخلي يكشف عن حالة التمزق والانشطار، والأزمة التي تعيشها الذات، وذاك «التوتر بين الانتماء [...] والتسمية الثقافية يبرز كيف يُعاد تشكيل الهوية داخل فضاء ثالث لا هو بالكامل للذات ولا للآخر بل هو مجال يتفاعل فيه الاختلاف» (صالح، 2025، صفحة 531).

"فبعد العاطي" في ذلك الموقف كان أمام اختبار للهوية، اختبار ومواجهة صعبة، فرضها الواقع وليس الرغبة في أن يكون فرنسيًا، إنّه يعي وعيًا تامًا، تغيير الاسم أو المحافظة عليه، فالتغيير يوحي بقطع الصلة مع الهوية، في حين يعني الحفاظ التمسك بالهوية الأصلية؛ والحفاظ «لا يعكس فقط تمسكًا بالهوية الثقافية الأصلية بل يكشف عن وعي بالتوضع داخل "الفضاء الثالث"، حيث تصبح الهوية مسرحًا للصراع بين الانسلاخ والانتماء» (صالح، 2025، صفحة 532) وهذا ما رصدته الرواية عبر شخصية "عبد العاطي"، الذي كان منشطرًا بين الانسلاخ والانتماء الهوياتي، لأنّ

«الاسم ليس صحبة فحسب بل هو قيمة اجتماعية وتاريخية وسجل نفسي بما إنه علامة فاصلة بين ذات وذات» (الغلامي، 2009، صفحة 195).

وليس كل مهاجر مفتون بالحضارة الغربية ومحموس بالانتماء إليها متنكراً لأصله وثقافته وهويته، "فبعد العاطي"، نموذج المهاجر المتمسك بأصله العربي، حيث «حصل على الجنسية الفرنسية دون أن يغير الاسم» (رميج، 2012، صفحة 39)، لتبين الرواية أنَّ الهوية الأصلية ليست دائماً هشة، بل صلبة حين توضع على محك الصدام مع الآخر، فتقاومه وتتحداه لتثبت موقعها.

ويظلّ الصراع الهوياتي ومقاومة الذات للآخر قائماً، منتقلاً من مستوى الاسم إلى داخل العلاقة العاطفية، التي تربط "عبد العاطي" "بكريستين"، إذ «كانت [...] تطرح كل مرة فكرة لإنجاب طفل لكنه يرفض رفضاً باتاً [...] لا يريد أن يتسبب في ميلاد كائن مشوه. لا هو فرنسي. ولا هو مغربي. مرفوض من هنا ومن هناك [...]» (صاح فيها قائلاً: "لا أريد لبذري أن تترعرع في تربة غريبة!" فاجأها كلامه. لأول مرة تدرك أنه لا يزال يحمل جذوره في أعماقه). (رميج، 2012، صفحة 88) فهذا المقطع السرد يبين صراع الهوية، من ناحية أنَّ السارد يرفض فكرة إنجاب طفل، خوفاً من أن يعيش ممزقاً بين هويتين، فأن يكون "مرفوضاً من هنا وهناك"، إشارة إلى أنَّ المهاجرين وأبناءهم يواجهون الرفض المزدوج من المجتمع الغربي بسبب انتمائهم الثقافي المختلف، ومن المجتمع الأصلي نتيجة التحولات الثقافية التي يخضعون لها، كما يظهر أيضاً القلق المتزايد في الجاليات المهاجرة حول الحفاظ على الهويات الثقافية لأبنائهم في بيئة تتجاهل هذه الهوية.

3- اللغة فضاء هوياتي.

تظهر الهوية داخل النصوص عبر أطر مختلفة؛ منها: الاحتكاك بالآخر، الاسم، العلاقة العاطفية، الحنين، اللغة... إلخ، وتعدّ اللغة مقوماً من المقومات الأساسية التي تشكل الهوية، فبينها علاقة وطيدة، فالتعبير عن الذات أو إثبات حضورها، يتطلب وجود لغة، تترجم مشاعرها وأحاسيسها وأفعالها وانفعالاتها، وكيفية تفاعلاتها مع الآخر، وكل محاولة لقراءة الهوية خارج اللغة تظل ناقصة.

في هذه الرواية استعانت الروائية بالدارجة المغربية، لإبراز حجم الأزمة والاعتزاز الوجودي الذي يعانيه المهاجرون في فضاء الهجرة، الباحثون عن أي شيء يتشبثون به ليربطهم بأوطانهم التي فقدوها قسراً أو طوعاً، وظهر جزء من هذا في سياق الحديث عن يوميات "عبد العاطي" «وهو غارق في الإنصات إلى دقات قلبه العليل، سمع صوت امرأة تتكلم [...] لغة حرص أن يهيم لها سبل النسيان باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الماضي الأليم الذي طرده نهائياً، من حياته [...]» (أشنو؟ حالتو تتسوء نهار على نهار؟ واش كيقول الطيب؟ [...] ما إن سمع ذلك الصوت [...] وجد نفسه تهفو إليها. لا. ليس إليها بالتحديد، وإنما إلى تلك اللغة التي دغدغت مسامعه وهزت كيانه) (رميج، 2012، الصفحات 14-15) وفضحت ضعفه وهشاشته، فالمقطع يوضح بصورة جلية ما يعانيه السارد من إحساس الاعتزاز والضياع والحنين إلى أصوله الهوياتية والوطن الأم الذي فارقه، لتشتغل اللغة هنا بوصفها أساس هوية

تبحث عن استعادة الذات لذاتها وعن موقعها، فلا «تُعطى الهوية دفعة واحدة، فهي تُبنى وتتحوّل على مدى الحياة» (المناصرة، 2013، صفحة 58) وتتشكل من خلال اللغة.

وعندما كان "عبد العاطي" يتحدث إلى حسناء المغربية بالعربية استعاد إحساسه بالهوية وبالانتماء إلى الجذور العربية، لذلك «كان انصرافها المفاجئ صادما له، وهو يتحدث إليها بالعربية يشعر بلذة غريبة... فقد وجد نفسه يتكلم اللغة التي اعتقد أنه نسيها [...] وجد نفسه يتكلم الدارجة المغربية بطلاقة» (رميج، 2012، صفحة 20) فانصراف حسناء أربك الذات/عبد العاطي، وشكل له صدمة، فما إن استعاد الشعور بوجوده وبالانتماء الهوياتي، حتى اختلت هويته من جديد، فالهوية تتشكل بالاحتكاك مع الآخر، سواء أكان منتقياً إلى الثقافة نفسها التي تنتمي إليها الذات أو مختلف عنها.

4- تجليات سؤال الاعتراف بالآخر في الرواية.

لم تركز الرواية فقط على إظهار صراع الهوية بين الذات والآخر، بل أظهرت حقيقة وجود فرص لخلق فضاء للحوار والاعتراف بالآخر، ويتجسد ذلك من خلال العلاقة التي جمعت "عبد العاطي" "بكريستين"، وهي علاقة تعايش، وإن ميزها الصراع والتمييز الثقافي والعنصرية في بدايتها، كالذي يجسده هذا الحوار: «أراك ترتدي ملابسك دون أن تستحم؟

ليست لدي الرغبة في الاستحمام!

ها أنت تعود إلى طبيعتك الأولى، عندما كنت ترفض الاستحمام كل صباح، ولا تستحم إلا مرة واحدة في الأسبوع، وكأنك لا تزال مقبلاً بالصحراء حيث يتوجب اقتصاد الماء! تريد الخروج دون استحمام ورائحتك تزكم الأنفاس، كرائحة خنزير؟ كأنك لست فرنسية!

ومن قال إني فرنسي!« (رميج، 2012، صفحة 49).

يعاني السارد من التمييز الثقافي المباشر بسبب اختلافه الثقافي في العادات اليومية، فعندما ينتقد على عدم الاستحمام بشكل يومي، يتعامل معه الآخر من خلال نظرة عرقية تضعه في إطار البدوية، فهذه الملاحظة تظهر العنصرية الثقافية، حيث يُنظر إلى العادات المختلفة على أنها غير حضارية، وهذا النوع من التعامل مع المهاجرين يُظهر الاحتقار للثقافات التي تعتبر غير متحضرة أو دونية في نظر الثقافات الغربية، خاصة في سلوكيات مثل طريقة الطعام، كما يتضح ذلك في قول السارد متسائلاً «هل تقبل امرأة فرنسية أن تستقبل أحداً -امرأة كانت أو رجلاً- وقت وجبات الطعام دون سابق إنذار؟ [...] لا أحد من الفرنسيين يقبل بهذا التصرف البدوي الصرف! يقبلون هذه البداءة فقط، عندما يزورون المغرب! تجدهم آنذاك [...] يتحلقون حول الطواجين الدسمة وقصع الكسكس [...] ويستعملون أيديهم بدل الشوك والسكاكين معتبرين ذلك كله، افتحاحاً على ثقافة الشعوب المتخلفة التي لا تزال تحمل بوادر المجتمعات البدائية، والتي لم ترق بعد، إلى مصاف المجتمعات المتحضرة!» (رميج، 2012، صفحة 93) فهذا المقطع السردية يظهر السارد وهو يواجه الفروقات الثقافية، حيث ينظر إلى السلوك البدوي كشيء غير لائق أو دليل على

التخلف، وهذا يكشف النظرة الاستيعابية للآخر تجاه الثقافات المختلفة التي تعتبر دونية، وفي مقابل ذلك يشعر السارد بالاحتقار العميق تجاه هذه المفاهيم الثقافية الاستيعابية.

بعد أن تميزت علاقة الآخر/كريستين بالذات/عبد العاطي في البداية بالصراع، عرفت فيما بعد تغيراً من نظرة استيعابية، إلى نظرة احترام واعتراف ضمنى بقوة حضور الذات في حياة الآخر، تظهر جلياً في تعبير السارد عن الحالة التي انتابت "كريستين": «ازداد استغرابها وهي تراه يخرج من الحمام مورد الوجنتين، يقبل عليها باسمًا، ويطلع قبلة فوق جبينها. أحششت بالبكاء. ضمها إلى صدره [...] عاودها نفس الإحساس بالضعف، الذي يلتأها كلما ثارت ثائرتها وفكرت في الانفصال عنه [...] تحاول فهم تركيبة نفسه المغيرة... تسعى لفهم خصوصياته المختلفة... تبحث عنه في كعب الصحراء، علها تمسك بخيوط روحه الجامحة» (رميج، 2012، الصفحات 76-77) وهذا يعكس كيفية تحول هوية الذات من موضع ضعف، إلى مركز قوة وهيمنة على الآخر، وهذا يشير «إلى أن الفضاء الثالث لا يسهم فقط في تفكيك الهويات المهيمنة، بل يمنح صوتاً للمهمشين من خلال خلق مساحة للتفاوض والاعتراف بالاختلاف» (صالح، 2025، صفحة 531) لكلا الثقافتين.

5- من الهجرة إلى العودة للوطن/التسامح مع الهوية.

بعد رحلة غياب عن الوطن والأهل والأحبة دامت «سبعة وثلاثين عاماً» (رميج، 2012، صفحة 16) واجهت خلالها الهوية تحديات عديدة، وعاشت قلقاً مستمراً، وكانت مهددة بالضياح في أي لحظة، أصبح "عبد العاطي" «يحس تجاه المغرب بالتسامح والغفران» (رميج، 2012، صفحة 322) وهي رغبة مضمرة في استعادة علاقته المتينة بذاته وهويته، لذلك قرر تلبية تلك الرغبة بزيارة المغرب، التي تتوارى تحتها رغبة أخرى، تتعلق بذكرى الاحتفال بعيد ميلاد سامية رفيقة دربه في النضال والكفاح، التي رفض من أجلها بادئ الأمر الزواج من كريستين ف«سامية لم تحتفل قط، بعيد ميلادها. وعندما احتفلت به أرادته أن يكون جاعياً [...] عشرة أشخاص ممن نجا من مجيم الأيام السوداء، يحتفلون [...] ببقائهم قيد الحياة» (رميج، 2012، صفحة 381 و382) فحضر "عبد العاطي" الاحتفال، واختار العودة بمفرده، يقول: «أردت أن أعود وحدي بعد غيبي الطويلة. فعودتي هذه بمثابة الحج إلى الأماكن المقدسة.» (رميج، 2012، صفحة 361) إنها عودة ليس للوطن المقدس فحسب، بل عودة لهوية مقدسة، رفض من أجلها تغيير الاسم، والانصهار الكلي مع ثقافة الآخر، وظل يحمل بذورها في أعماقه.

خاتمة.

شكلت موضوع الهوية سمة بارزة في رواية "الناجون" للروائية المغربية "الزهرة رميج"، التي تعدّ واحدة من الروايات اللواتي كشفت عن انشغالهن بمسألة الهوية، عبر نموذجها الذي اختير كمدونة للبحث في إشكالية الهوية وكيفية تجلياتها، وتمثلاتها لعلاقة الذات بالآخر، وبعد القراءة والتحليل، خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- كشفت الرواية أنّ الهوية في فضاء الهجرة متوترة وقلقة وتعيش اغتراباً، وهذا يرجع في الأساس، إلى نوعية العلاقة التي تربط الذات بالآخر، فإذا كانت هذه العلاقة غير مبنية على أساس متين، ولا تتميز بالحوار

- والتفاهم، ولا مجال للاختلاف، ولا يسمح للذات بالتعبير عن نفسها، وممارستها لحريتها، في فضاء الآخر، تظهر الهوية بتلك الصورة.
- كشف الصراع الداخلي عن انشطار الذات وتمزق الهوية بين الانسلاخ والانتماء، بسبب الضغط الكبير الذي كان يمارسه الآخر عليها.
 - بينت الرواية أنَّ الهوية تتشكل بالاحتكاك والصراع مع الآخر؛ فالآخر يعدّ من العناصر الأساسية، التي تسهم وبشكل فعال في تشكيل هوية الذات وتأثيرها.
 - ظهرت أزمة الهوية في الرواية عبر مستويات مختلفة منها: الاسم واللغة والعلاقة العاطفية، وكل مستوى قد أبان عن حجم المعاناة النفسية التي يعانيها المهاجر، بسبب صراعه من أجل الحفاظ على هويته وإثبات ذاته.
 - أظهرت الرواية أنَّ الهوية الأصلية ليست دائماً هشة، بل صلبة حين توضع على المحك، كما بينت قدرة الذات على مقاومة الآخر ورفض الخضوع والانصهار في ثقافته.
 - وضحت الرواية أنَّ علاقة الذات بالآخر لا تتخذ دائماً شكل الصراع، بل تتميز بالحوار والاعتراف بالآخر.
 - طرحت الرواية فكرة العودة بوصفها أفقاً هوياتياً.

قائمة المراجع:

1. أسعد ج. ك. (2009). *الناكدة والهوية*. سوريا: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق.
2. الغدادي ع. أ. (2009). *القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة*. المغرب: المركز الثقافي العربي.
3. المناصرة ع. (2013). *الهويات والتعددية اللغوية (قراءة في ضوء النقد الثقافي المقارن)*. (الأردن: الصايل للنشر والتوزيع).
4. بوعزة م. (2014). *سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف*. الجزائر: منشورات ضفاف (بيروت) ومنشورات الاختلاف (الجزائر).
- 5- رميح أ. (2012). *الناجون*. عمان الأردن: فضاءات للنشر والتوزيع.
- 6- صالح خ. (2025). *هجنة الفضاء الثالث في رواية القاهرة الصغيرة لعارة لخص -وفق نظرية هومي بابا بمجلة دراسات معاصرة تسمسيلت الجزائر*. p. 531 ,
- 7- مسعودي س. (2021). *تجليات الهوية والمقاومة في الخطاب الروائي العربي تمزقات الهوية ومشكلات الانتماء عند المهاجرين والأقليات الإثنية في الرواية ما بعد الحداثية في روية أن تبقى لحولة حمدي بمجلة رؤى فكرية* (ص. 279). سوق أهراس الجزائر.